



الحياة التي نُومتُ فيها استيقظتُ في نفسي  
ألبارودي كامبوس

## نُشْفَ

( تشرين الثاني ١٩٧٣ )

مجنّد سيصل قبل الإفطار في إجازة قصيرة ليعلن :  
إنها الحرب

( أيلول ١٩٨٤ )

كائنات فضيان أو مجرد أب وابنه الثاني ووراءهما  
حديقة طويلة تكفي لأن تستعيد الأشياء فتنتها  
في صورة فورية.

أما دائماً

فكانت العزلة.

داخل البيت داخل البيت والعزلة الصفراء

العزلة اللاطمأنينة اللامرئية

العزلة من البرونز

سيده الذين يسيرون نحو أشغالهم ،

سيده صيادي الحجل والقمري و الأرانب، مزارعي

العنب والزيتون، رعاة الماعز، القرباط الطارئين،

الطبالين، مغني الحب والفروسية البائدة ، المرضى

المزمنين، الأرواح، المتزوجين باكراً، النساء البديئات،

المقامرين في السر،

العزلة بمفردها سيده المكان

الذي يضمهم، ويكرههم،

هم الأكثر ضجراً من الملائكة.

دائماً

كانت العزلة.

كان الاكتشاف المتأخر لضباب يحجب موتاً بريئاً بطيئاً  
قرب الحدود، كان لامرأة مؤمنة أن تمطر غيمة صيفية،  
غير موجودة، بدعائها الأعجمي، ويمكن لنقشبندي أن  
يطير من نعشه فتهتز له الأكتاف العالية، وتلحق به  
الرايات و الأعين الضئيلة لمريدين عبثاً يشدونها إلى  
قاماتهم.

الضيوف وحدهم  
يخفون من وطأة ما يكون،  
وبكل بساطة كنت أفرح حين أمرض:  
غداً سيخافون من الحمى، غداً ترتبك العائلة، غداً يأخذني  
أبي إلى المدينة، ولذلك ما أزال أظن أن السفر يشفي.  
هل أنت مريض؟  
سافر إذن.

هذا الليل فقط.  
ولا شيء منه  
لاشيء سوى التلغاز  
وكرسي يغادره الرجل نحو أبا جور في الطابق الثالث  
الحرُّ متاح بوفرة / اليدُ التوأم / فمُّ هاجس كذاكرة / أولاد  
يلهون باللذة تحت جسرٍ صغير / مبيضون يضيئون  
عزلة عامين لاحقين / جوالون عميان يتندر بهم /  
مبيضون بأعماق مصقولة / يذبيون الملح و الكلس في  
أوانٍ يصقلونها تحت السروة / السروة كثيفة ليلاً / و  
بنفسجية / السروة كثيفة دائماً / كي تلائم ما لا يعلنه ولدٌ  
يختبأ في الأعلى / يلتقط ما يلتقط من رائحة النساء / وهنَّ  
يحلين الغنم أسفله.

عنفٌ في الداخل  
ولا أكثر من هذا الليل :  
ما من أحدٍ ينام ولا ينام،  
ما من أحدٍ يتأمل الباحة من أبا جور في الطابق الثالث  
لا،

لاشيء سوى الكرسي  
وتلغازٍ يترك مشغولاً .  
النقطة العمياء حيث ينظر رجلٌ وحيد  
ماءٌ و قصديرٌ يعكسان الشمس .  
بريقٌ  
لكنه بعيد .

مواجهاً الدرفة المفتوحة في استلقائه  
ينزلقُ إلى الخلف  
و يحسب الحائط الذي يدفعه

قد انزاح قليلاً  
الكراهية  
وحسب  
يحلم بوقوع عتمة أشدّ فر بما  
يذوب ظلّه الوفي ، وفيّاً في جسمه،  
فيرى امرأةً مضيئةً، ذاتها،  
المرأة المارقة في نقاهة اليوم السابع للأنفلونزا :  
وجه مضيء  
ويدان مضيئتان.  
"الذين استخرجوا العقارب الشقراء من أرضها  
وأذابوها في النار  
"الذين مرضوا بقنص الحجل وخرجوا غير مكترئين  
لمقبرة  
أبناء ماتوا من الكوليرا  
"الذين حملوا سيائك الذهب وارتدوا أحذية بنعال معكوسة  
وفي ليلة تلج عبروا دون أن ينتبه حراس الحدود  
"الذين تزوجوا خائفين من المرايا القليلة في حجراتهم  
الكلسية لفرط ما أوصتهم الجدات القديرات  
الطائشون الكسالى  
الرماديون بكثافة  
الموسميون  
هؤلاء لم يكونوا مبالين، كما هو،  
لا بالكدر يورثه الأب  
لا بالذئب يميز الرائحة وراء المزاليج  
ولا بالجن يتنزهون حول المعصرة  
هم مضوا إلى أشغال اليأس  
هو للطريق نحو العنب.  
والطريق نحو العنب امرأة مضيئة أيضاً:

وجه مضيء  
صدر مضيء  
ويدان مضيئتان.

"الليليُّ من القلة . الليليُّ حَجَلِي .  
الليليُّ بعينيه كنجمتين كان يحلم بأرض منخفضة  
يحشد التبغ فيها و ثم ليشعله و ثم ليشهق دخانه من الأعلى:  
هو المسرف كرب مسرف  
هو الماجن كرب ماجن"  
القلة: كانوا فلاحين شاغرين  
كأيامهم الشاغرة والمغلقة برتاجات من الحديد  
يتواطئون مع الشمس على الأرض  
مع الأرض على الحجل  
مع الحجل على النساء  
وفي الليل المزدهم  
لعائلة مزدهمة كشجرة تين في آب  
تتكالب القلة على النوم  
لتنزع لهواً شتلة تبغ مجفف - وعلى الأكثر نساء -  
تشبهن فيما تشبهن  
فتاة السنك في اليد الماجنة المزدهمة  
حجلي: صفة الحجل، والحجل حارس الهواء، طواعية  
كي يبقى هاباً في تنانير النساء  
المنذورات لزهور حديثة  
أو قبور حديثة  
فتاة السنك: تعرفها اليد الماجنة من نعاسها المتزن.  
بلورات هنا  
طيوري  
طعن في الهواء وما من دم  
أما الجسد فيتم نفسه بفراغ تحرسه بارداً لزائرك  
أيها العدم

كان هنا الكرسى  
- كغيره - يكتفي بما يتركه الهواء  
القليل. ما من تعرق  
تخلفه عجيبة ، ما من انحناء  
على المعدن، ما من ركة ننتى  
فتؤلم.  
ملحك على جلدي، هنا ، هناك  
وجهي يبرز من دمك  
أيها العدم، شقيقي.

"كم من العنف يخلفه الماء في الليل،  
من عطبٍ حنفيّةٍ وحيدة"

### I

هواءُ الصنوبر يختزل رزانة الصنوبر،  
هواءُ الذاكرة يختزل كائنات الذاكرة ،  
والهواءُ هنا يختزل ما يحيط " سلطانه يوسف " في  
ثلاثائها :

أصغرَ حديقة في الشتاء ،  
الصدأ في متجر الخردة ،  
والجادة التي تمشي عليها نحو الغرب  
نحو نساء صغيرات يتعبهن الوجد،  
وهيجانُ قمرٍ ينبئ عن مخصٍ يحين في أسفل البطن  
بعد حين.

### II

الخالة بروين تحلم أكثر مما تحب، تخاف أكثر مما تحلم ،  
تدخلُ على الصغير يعتزلُ الصخبَ في شقتها ،  
فتبكي لأسئلته ، ويبكي لها  
و"الفكرة " كعيونه الحجلية تنبتُ في ذاكرة معلمين  
سالفين

الطفلُ وهو يركب حماره الأشهب  
الرجلُ وهو يُعدم في جوار فكرته العنيدة  
وما بينهما:  
قائمة المرأة تُراقُ على الصنوبر كضباب.

### III

مشجبان متجاوران تحت كثافة المعاطف،  
وبعض سراويلهم الداخلية رطبة بعد،  
مشجبان عاليان في حجرة الطلبة يستمرآن الجوار  
الموحش ، وما يقال عن المغني متبقياً من فونوغراف  
قديم  
كان يصطاد الأفاعي بيديه العاريتين  
ويربي التبغ ملء سفوح زوجاته الثلاث  
يغني للجبلين في أعراسهم المديدة حتى الحناء ،  
"ويقال" حينما كان يغني:  
يكون الرجلُ امرأته ،  
المرأةُ رجلُها  
ونحوه تتجه قطعان الحجل  
منتفضة من إقامة غائرة في الريح.

حنيننا أشد من معانقة تتم  
/ ما ينبغي أن نرويه / ما لا نستطيع أن نرويه /  
نحب الحياة قبلة فم في فيلم / فتكون الحياة قبلة فم /  
نحب القمر مبللاً لسروة / فيكون القمر مبللاً لسروة /  
العين على ماء العنق / اللعاب في دمن الرقيق /  
نتخيلنا مستمرين / ونتخيل أعدائنا مستمرين /  
ويشبهوننا : يصرون على خطأ حار  
على شاي حار على أنفاس حارة /  
أبطالنا لنا  
نتقدم في نفق لعبور المشاة ، فنخشى أحداً ما يأتي من  
خلفنا /  
نمرّ تحت شجرة كثيفة أو جدار في الليل ،  
فنخشى أحداً ما يقفز علينا /  
نرتدي الشر كقفاز يستعمل لمرة واحدة /  
نحيط أنفسنا بملائكة / ونبقى نخاف  
يدنا في الماء ونحسب الماء ينبع من يدنا /  
وتم الذبول /  
ذبول أخضر نألف الأرواح فيه / كما نألف الله في بيتنا /  
وبيئنا غيمة عالية من موسيقى نقتنيها بعناية / حيث الباب  
أكثر من حديد محض / والنهار أكثر /  
نتعب من تفسيرات ميتافيزيقية لصداعنا / لنزواتنا /  
لا نهذاً إلا على زغب /  
لا نحبذ إلا ما يرشح من إبط نعرفه /  
و  
فقط.

هذا الشتاء  
طحالب كثيرة  
نبتت على الدرج.  
على أغلب الظن  
عبث أن تدير إبرة الـ FM  
أو أن تعلق على تصرفات أمريكا  
أو أن تجلب خطأ للإنترنت  
نظرة جامدة  
والخطو الثقيل  
بين السرير والباب  
ديناصور  
وظلالك مستحاثات  
عينك لا تهتز،  
السحام يسد ثقوب المدفأة  
ولن تنتبه  
أنها منطفئة  
سوى  
حين تنكمش أطرافك من البرد.  
"ليلي" لا تتأخري  
أعرف أن ما تتأبطه مجلة مصورة ، لا دفترأ  
وأنها ذاهبة لتشتري البسكويت ، لا إلى المدرسة  
لأنها فتاة طيبة فسأحضر لها ما تحب  
/ الشاي بالشوكولاتة/ أي الميلو  
عن قصد

تنسى طاقيه الصوف على المكتب  
لتستر جمعها فيما بعد.  
طيلة نهار الأربعاء  
تمكث في البيت  
كيلا يخطفها من السوق  
عدنان  
السيء  
الأعرج  
الذي يقذف الأطفال في نهر عفرين  
- "لا تتأخري ليلي".  
والمحها مسرعة نحوي  
ذات يوم ربما  
يسليك طفلاً صغيراً أيضاً  
على كرسي بارد  
ستحديقين في اللاشيء  
لا عدنان خطفك  
و لا أمك أنبتك  
لأنك لم تتأخري  
سنكون على ما يرام  
أكثر ما يخلفه بازار الأربعاء  
في الساحة  
أكياس نايلون  
هامدة كحيوانات بليدة  
كيس بطاطا شيبس ، لامع وزاه  
يركن قرب باب الصيدلية  
تدون ملاحظات و أرقاماً عما ستفعله لاحقاً  
تظن أنك تنهياً للمستقبل.

طاهر؁ لا مرئي؁ وربما لاشيء  
موجود؁ ولا شيء يدل عليه؁ سوى ما تدونه عما ستفعله  
من كابينة الهاتف  
تحقق في الساحة  
"سنكون على ما يرام"  
وتضغط البطاقة.  
هواء خفيف  
وتهتز الأكياس  
كيس بطاطا شيبس لا يزال قرب باب الصيدلية  
كأنه لن يترك مكانه.

الراعي مريض  
و الذئاب  
كثيرة.  
لأنك الضيف  
عينك لا تجفُّ على شبح قادم من الباب ،  
عينهم الآن  
على ما تتركه.  
تصعد الجبل  
وتبقى السماء عالية  
عميق شاسع  
كندمك على ما لم تفعله  
هش كصبرك على قلبك  
صلد كقلبك الذي تصبر عليه.  
فكن كهفًا  
اتبع شيطانك  
لتصل إليك.  
لا تقبل ظهر المرأة فتفقد ما بسرعة  
لتكن قبلة فم لتستودع فيك سرها  
تريد موتاً بارداً!  
هكذا إذن،  
- الموت ليس ماءً يا حسن.  
حالما تغادر إلى نومك.  
خذ ميدالياتك  
مخابئك الرطبة  
أيها الصغير كأرنب مراهق  
تسعك .

إنها تُجاكرك:  
لا تومئ إلا لغيرك ليجلس بقربها،  
سَرَبْتَ يتصيد الضفادع  
ليمضغها بمائها الرخو  
"الجرار على الجرف يكاد أن..،  
وأزيرٌ من الحديد  
من جهات التوت حيث والدك  
يَصِلُ  
ليصنع رقبته.  
خذ ميدالياتك  
جهاز الهاتف لكي يوقظوك ،  
القطرة أيضاً  
القطرة العينية  
ليزول الاحمرار عن الأخيلة.  
المورث  
بمهنك الصلدة ،  
كنت تبتكر الرطوبة فيما حولك.  
تعرفها ، زوجتك كسلالتها المنقشفة تكره الضيوف  
وربما تكرهك  
وحانوتك الصغير أيضاً.  
قدماك في العنب  
يداك في الغرائيت  
تحفر جرناً لماء الحصان  
أصصاً لرياحين ناعمة.  
أيّ مغص ألمك فلم تحتمل  
أيّ قمرٍ من النحاس محبوسٍ في تينك  
أيّ نبات من الحديد يتوهج  
وأنت تُلحمُ تخاريم المعدن.

في الليل تتوحد جهات الرجل  
فاذبح ديكك الرومي  
وادعهم  
ادعهم  
لدبكة تكتمل في فيض أعراس  
قريبة.

(عينك مدهشتان فحسب ،الأشياء فلا)

ذيلٌ ورقبةٌ قوية  
فيكتملُ حصانك في بريته.  
ضبابٌ وديع  
وهواءٌ أخضرٌ لما حول شجرتك العليا  
و ثمَّ تنهض على جسدها المطعم  
بفاكهةٍ من يدك المدهشة.  
آنَ لعبكِ .  
سيجلدونكِ .  
إنهم يتفقدون أصص زهورهم - فوق -  
بعنايةٍ انزل:  
عنادك يدلهم  
والباحة كذلك ممتلئة برائحتك الكثيرة.

وفي العتمة  
يكون ظلُّ السروة في الباحة : السروة في الباحة  
ظلك: أنت.  
هيكل غامق موحش لا بد من هواء لتدرك أنه شجرة حقاً،  
اليد البطيئة  
ونفاذ الأنفاس العميقة لنكون نحن أنفسنا.  
ضوءٌ سيتوهج ،  
لا أكثر من سيارة أخرى تعبر الأوتوستراد.  
سماءٌ ملقاة خلف الكتف الضئيلة  
شتاءٌ ينجز نهايته في رائحةٍ تبقى معنا.  
ترى من تحت قبعةٍ ، إذن:  
الشتاءُ شتاؤك شتاء الأعمى  
أما المرأةُ فلسمائها  
أبعد من شجرات الفلفل البري  
أبعد من المبنى الباقي من الليل محض رخام رطب،  
أبعد من يدك البطيئة في مكانها  
تبرد تنكمش  
و ترق كالم يزول.

الإصغاء الكلي  
الإصغاء، وحده، لشجرة في الجوار  
يُحيلها امرأة:  
قلبي حمامة، هو أجسها هو أجس برتقالة في الليل،  
أعرفها طبعاً، وأعرف أنها الآن جالسة وراء المكتب  
وتفكر،  
تفكر في ما ستفعله لنهارها كي لا يطول،  
وتتفاجأ أن لها أعداء.  
وأنا كذلك  
بشهوة مفتوحة أقرأ دوستوفسكي منذ أسابيع،  
لست السيد  
يجلس على كرسي من الخيزران ينظفها الأتباع بزفيرهم،  
ولست التابع  
يتكلم بمذلة، وينبض صدغه قويا لإيماءات السيد،  
بطيباً  
مسالماً  
أمشي في الصباح، ولا شيء  
أمشي وكامراتي الجالسة وراء المكتب وتفكر،  
أجهل أن لي أعداء.  
هواء لأجراسنا  
الغيمة فوق حقل الفستق  
السمكتان في الإكواريوم  
ستمطر.  
والفيلم سيمضي حاراً عنيفاً دون أن نخمن نهايته،  
إنها الأجراسُ أجراسنا في الخارج

وما دمنا مقيمين  
فلن تتمكن الآلهة من العودة إلى الأرض.  
كتفائي تصعدان تتفتحان تكتملان  
أخضر ناعم ينساب خارجاً كخزف.  
الغيمة تتخذ شكل امرأة فوق حقل الفستق  
السمكتان في الإكواريوم  
لم أفل  
إنها تمطر.

ما أخاف عليه بالضبط:

هذا الضوء

ضوء

أليف

مبلى

قليل

يلتئم في داخلي كعيني حيوان وليد.

لذا

قلت: "أرضي منخفضة، كتفاك عاليتان

فخذ هواجسي،

وهبني، ربي، من لدنك هواءً طرياً

يسترسل خلاله الطير القديم في فمي.

الموسيقيان ينضجان كشجرتين من الماس

وأنا أقول ولا أرى شيئاً

ربما كلام نفسه لأسابيع سالفة

ربما المشهد البيهي

وهو يخلو من تلقاء ذاته

لراحة اليد على ظهر كرسي شاعر في الجوار:

الرجال يخرجون ليقفوا أمام المبولة

كخط من عباد الشمس

بينما النساء

النساء الرخوات

الشمعيات المندلقات البطن

تجتزن الدرج الطويل

كشهوة راكدة.

صوتان قرينان كشجرتين من الماس  
وأنا لا أرى شيئاً.  
ما لا ريب فيه  
ضوء  
أليف  
مبلل  
قليل  
يغرق في ليل بحيرة.  
عشب بارد الآن  
سلحفاة تنكمش داخل درعها  
بيطء.

ككراهية حارة  
ينغرز بورتريه المرأة موشكة على بكاء.  
هواجس تجف في الظل ، كماء ، هواجس ليلة الجمعة.  
رأس مهتز  
يؤول لنعاس في الأمام كما لو على ركبتها.  
هواء يحيطك،  
يتقادم في هواء كثيف في هواء آخر.  
أخضر إلى الورا كإنما تغادر إلى الأبد  
بنعومة إلى الورا:  
غيمة تالية، علق، ستعلق في شجرتها.  
تتنفس. تتنفس.  
كإنما تغادر إلى الأبد.

ما يأخذك في الصباح: بستانيون يشدبون الدفلى، بردٌ  
لذيذ، بوابات تودي إلى حدائق واطئة، شباكٌ  
معدنية نظيفة، جوارب حريرٍ وسوتياناتٌ  
مخرمة تتدلى بين التناير. تمشي . أخيلةٌ  
خلف الفرنسيكان.  
الأخيلة وحدها تبقى؛  
لأشياء سوى إيماءة (نور)  
إلى فروع المكحلة تطول،  
وما ينتظر في تواتر هاتف الظهيرة:  
موسيقى غير دارجة  
أشواق تؤلم باطن اليد،  
وتفاحات ناضجة  
سنتخيلها تسيل في بحة امرأة من الخزف.

المرضى لاحظوا؛ الهواء ضاغطٌ تماماً ،  
والحجرُ المفتوحة مع الدهليز أشبه بإسطبل طويل  
المرضى يسقون أصصَ نباتاتهم ، يكتشفون:  
"ثمّة أزهارٌ أكثر من رديئة"  
المرضى وهم يتسلقون أشجار التين  
سيرون كم الأرض منخفضة ، هذا الخريف ،  
وكيف أن المنازل ليست بالعلو الذي تصوره، أو  
غادره  
بيتٌ بارد.  
أحقاد كثيرة تظلُّ معهم أينما ذهبوا.  
يربّون الموت كقط، يدلّونه كإبنة  
باشمئزاز يلمسون بتلات الزنبق،  
يشربون حساء الجزر باشمئزاز.  
الملائكة عند الرأس  
العائلة في الممر.  
أما المرضى فإنهم يتبولون على كرات النفثالين بمرح

الألمُ نجاة. المرضى يمضون  
أهٍ أيها المريض:  
افتحْ كفك في الليل، ترَ نجمة  
امنحني نجمتك وامض يا مريض.

خفيفٌ ، باردٌ ، أوحد  
ونحن أباؤهُ .  
الكرديُّ ظلُّ الشركسي . الشركسي ظلُّ راحلٌ لعربي مقيم ،  
العربي ظلُّ الظلُّ نفسه .  
سيصل نهار الجمعة ، يذكرنا بقداس لموزارت  
و "Voice of the bloo"  
ويغادر نهار الجمعة أيضاً  
يغادرنا إلى بيضاء مثله ، يرصدها - هو الأبيض - في  
عراءٍ أخضرٍ بعيد .  
كئيبٌ وجهك ، بستانك كئيب .  
حارٌ نبيذك في أجوافنا نحن الملائكة الصغار ،  
والكرديُّ ، أي أنا ،  
كيدٌ تدنو من امرأة  
ستفتنني مسرةً غصن في الأعلى .  
غصنٌ يرثُ القمرَ للحظةٍ ويموت .  
يولد و يموت .  
و يموت .  
" شجرةُ الجوز  
تشتاقك والله "  
ولأنني كيدٌ تدنو من امرأة  
لا أظننا سكرنا بما فيه الكفاية  
وأحسب حقاً  
أن الأكراد ، تسبقهم طيورهم ،  
قد سعدوا أو يصعدون الآن نحو سماءٍ أخرى .

رائحة الحقل قد تجتاح المطبخ الضيق.  
قد تتبثق الطيور  
من الكلس، وجبنة ذهاباً في الممر.  
شجرة الأنغيدنيا في الفناء  
يمكن أن تثمر الأسماك  
أو أن تطول لتشرف على البحر من مسافة ٥٠٠ كم.  
فقط فمك.  
الفضي الصغير  
فمك فقط  
يكفي لأن يعيد ترتيب العالم بأناقة فائقة.

أنا كلامك في الليل  
و كلامك في الليل كهذي النجمة  
أكاد أنتفسها بينما  
تكاد لا ترى.  
طنين في الأذن، خلاء كثير مديد.  
لا صوت لشيء  
كقطعة نقد معدنية ابتلعها آله معطلة  
امتلاء بالأصوات جميعها:  
حفيف خشن بين بدلات الكتان على المشجب  
إيماءات بريئة لمرضى الأنفلونزا  
تلفاز  
أما الطيور فالخارج لها  
غير مرئية أصلاً، مطمئنة، وديعة  
تنزل، تُقبل لتتحاز إلى قليل من صوتك النحيل.  
أنا كلامك في الليل ،  
و كلامك في الليل  
كهذي النجمة الممتدة في مياه عميقة  
أكاد أنتفسها بينما  
تكاد لا ترى.  
سروة تهتز في مستوى نافذة.  
في الحرارة اللينة  
وبخفة  
تتبع طيوراً في الخارج  
كأنك تتلاشى  
"الست وحدي، لكنهم نائمون.  
أحمد سينبهنني بأنني أتكلم بصوت مرتفع

بينما الهدفون في رأسي.  
لا أحد سيدخل  
ضوءٌ كثيرٌ سيلمسُ مسندَ الكرسيِّ بدعة  
الآن  
لم يبقَ منك شيءٌ:  
فقط، التون جون يغني للحب في عام آخر  
وأشبه بمروحةٍ من الريش  
بهدهء  
يهتزُّ أعلى السروة.

إرثُ العائلة لا يُحتمل.  
أربابُ العمل غليظون للغاية.  
رداءةُ الطقس الصيفي.  
ألمُ الكولون المشتد ربما يكون عن غصةِ الأمس  
لذا

غداً في الساعة الثالثة  
سنصمت كثيراً  
وربما نبدو ملولين أكثر.  
غداً في الساعة الثالثة  
لن أفعل أي شيء، عزيزتي، ولن تفعلي  
سأقول:

روزا يجب أن ترى البحر  
ونحن ينبغي أن نأخذ صورة.  
غداً في الساعة الثالثة  
وربما يضبط المصورُ آتته  
سأفكر كربٍّ مهزوم:  
هلاً اتسعت أيتها السماء  
و أنتِ أيتها الحديقة  
الصنوبرُ قامتكِ  
فإلى الخلف لحظةً واحدة  
لنتنقذينا من كل هذا الانحناء.

تنامُ و تنامُ معها شجرة الأنغيدنيا  
المرأة نفسها التي أحببت وقتها مؤخرأ  
الشديدة العذوبة و التي بقمرِ فوسفوري نحيل  
تتسربُ للضوء  
فيشفُ كلسُ الممر و الدرج الهابطُ أسفله  
المرأة بعنفوان ظلها الصغير  
تخاصمُ ابنة جيرانهم القرباط  
تشتكي بذاة شجاراتهم  
نتانة جلودِ تدبغ، سنسقطها الريحُ  
عن حواف منزلهم الغربي.  
المرأة نفسها  
سيمرُ القمرُ على مضضٍ - الليلة -  
دون أن ترشته بالماء  
و القرباط سيعلو صراخهم أكثر  
وتظلُّ على العتبة  
غيمة هادئة  
وجهها بين يديها  
طويلاً  
تحلم تحت شجرتها  
شجرة الأنغيدنيا.



س  
ف  
ل

حنانك ماء .  
النور البرتقالي على وجهك الصغير .  
تتبعك نساء  
و أنت بقوة تندفعين للبحر المندفع بقوة ،  
تهبطين تهبطين  
فيصعد حتى خصرك الرفيع كعمود من القمح  
حولك رطب  
في المكتب، في الحديقة؛  
تلك رائحة العشب الغض، رائحتك في ألفة الانحناء  
على الكرسي .  
الملح عالق على فمك،  
والزبد يصل ثيابك في الظل .  
حنانك ماء  
والضوء البرتقالي المهتز على نحاس الساكسفون  
ذاته  
على وجهك الصغير  
وعلى الرخام خلفه مؤلفاً التفاف رجلٍ بامرأته .  
حنانك ماء .  
وبعد  
من لي غير وجهك الصغير !

هنا مهرجٌ بطبلته المعلقة إلى عنقه، دبيةٌ وعصفور أصفر  
هنا أنيةٌ من الخزف المهيا للثلج و الويسكي،  
وهنا

أمام سجادةٍ ممددة حتى الاستريو في الأعلى  
تجلس حاضناً الطفلين  
ويكتملُ المكانُ كحكمةٍ طرية  
فأقول:

الفرحُ ظلُّ امرأةٍ،  
وامرأةٌ ممثلةٌ كنجمةٍ وصاخبةٌ كنجمةٍ  
تستطيع أن تبرزغ في ليالك كما تشتهي  
الفرحُ ظلُّ امرأةٍ  
وبكل يُسرٍ  
تتركه أينما تمرُّ،  
أو تُفَعِّدهُ كطفلٍ مهذبٍ  
في فلاش الكاميرا.

من انحناء الدهليز  
تنفذ رائحة الكولونيا بشدة إلى الداخل  
لنتراءى له  
كتف المرأة من الخلف  
ك ظل شفرة.

غير مبالٍ  
بما في الخارج:  
لا البيرة بجانب البحر  
لا جرأة الساحليات على الكورنيش  
لا المكوث المضجر في قطار الساعة الثالثة  
ضئلاً  
رقيقاً  
بارداً

ينعطف إلى الحجرة الجانبية  
ك (ما بعد السقوط)  
حيث الأب في بيجامة النوم يمضي إلى مملكته  
بينما

الابنة تسأل فيما إذا كان الجوري  
سيُفتقد في عيد فالنتين  
مرتطماً بنفسه  
في خافت من الضوء  
حيث انحناء الدهليز  
والتنفس أبطأ  
تتراءى  
له

كتفُ المرأة من الخلف.  
الأشباح وهم يمرون بجانب السيدة الإنكليزية.  
نزلاءُ فندق البارون  
يقترحون حفلةً تذكيريةً لأجل رأس السنة.  
مشوشةً من صداعٍ نابض  
ستغادرُ إلى حجرتها باكراً.  
في الممر  
تتخيلُ الجريمة.  
ثمّة من ينقع الشاي الأخضر  
ويحدّق  
في الباحة  
الليلُ ينعشُ ذهنَ السيدة الإنكليزية:  
بدهاءٍ من الفولاذ  
بمكر العارف  
يروح ويجيء المفتش في ردهات قطار الشرق السريع  
الليلُ الرطب  
ينعشُ الأشباح أيضاً  
لطفاء وطيبون  
يطوفون العالم  
كضبابٍ  
لا يؤذي  
الأشباحُ الذين يخشون أن يتأملوا شجرات الميلاد على  
الشرفات  
الأشباحُ الذين ينسلون إلى السماوات كي لا يفضح النهارُ  
أنفاسهم،  
الأشباحُ الذين يسعلون ولا ينتبه إليهم أحد.

دمٌ جاف، ثأرٌ لائقٌ لجنازة ماضية،  
ثلجٌ طويلٌ يخفي شهوة الذئب، وخطوة الغامض  
أحداقٌ كسولة تشعر بالرضا  
حين يُقاد أحدٌ من كتفه.  
السيدةُ  
تهدي صداعها بقرصي أسبرين، وجريمة معقمة  
أما الأشباح  
فهاثمون لا طمأنينة لهم ،  
لا يندهشون من شيء  
لا يتفاجأون،  
يحرصون ما حدث في جريمة لم يرها أحد  
يحرصهم صوتُ الدم.  
ما من جريمة أبداً .  
فقط، سيدةٌ تخيلت لتنام  
ما من أشباح أبداً.  
فقط، ما يظنه رجل ينقع الشاي الأخضر  
ويحرق في الباحة،  
السيدةُ الإنكليزية  
بينما تخلع سوتيانها، تحكُّ تحت إبطها، و تفكر:  
ما يزال نظيفاً  
صالحاً لأرتديه الأسبوع كله.

في عين الطير  
أتهدل على كرسي من المعدن تحت الشجرة  
بقيص بحار ونظرة فلسفية  
أما الظل فكانه مرآة ماغريت:  
رجل بقيص بحار ونظرة فلسفية  
يتهدل على كرسي من المعدن تحت الشجرة.  
أفعي تزحف أمام الباب  
الباب مفتوح على الغابة.  
جمعة صلبة، باردة، خشنة،  
وقت يكاد يلمس.  
ما أفكر فيه:  
فلاكن طائشاً

ولا أسوأ من الحكمة مبكراً.  
مأدبة عشاء ستبقى في عين الطير، كبقعة بنفسجية، ربما  
لأنه اليانسون ينفذ عميقاً تحت اللسان، ربما لفتنة عينين  
ملتعتين لامرأة تعلم أصدقاءها لذة أن تعبر الجسر بخفة  
(اعبره كأنما ستحلّق) ، وربما من خيال مريض تشفُّ  
التعاسة معه حتى لتبدو كرائحة وحسب، أو كفكاهة،  
أو

كضوء يبرق على شجرة مهتزة  
ويزول دونما أثر.  
ما أفعله الآن، أراقب طيراً من وراء شجرة  
ولئلا يجفل الطير مني  
سأكون عينه.

لم أكن أمضغ علكة ولا أستسيغها أصلاً  
ثم  
أذني غير مثقوبة  
ولا أضغ أقراطاً  
فالمؤكد أنها أخطأتني  
وربما أخذت تتوهم  
حين تجمدت على بعد مترين.  
يصعدان المنحدر نحو منبع النهر  
متأبطة ذراع القادم من ألمانيا  
تفتنها - كما ستقول فيما بعد -  
ملامح المغربية و شعره المكزبر.  
ما طرأت غيمة في سماء الاحتفال  
لم يُدق جرس..  
لم يصرخ أحد..

سوى أنها مذعورة  
أفلتت ذراعه فجأة  
واستدارت نحو صغيرنا الذي غرق.  
أرادت أن تشم وجهه ، تعانقه  
لكنها لم تصل  
وتجمدت على بُعد مترين

أما الصغير  
فكان خبيثاً بما فيه الكفاية  
لم يغرق بالطبع  
إنما ظلَّ قربي، ولم يؤتِ نحوها حركة.

إنه مغرم بالمهرج  
ألاحظ مرحة حين يشدُّ بنطالي  
بينما أنا  
بين حين وآخر أربّت على رأسه  
غالباً  
أرنو إلى البعيد  
حيث ينزلق الماء على المنحدر.

الكؤولة بجوار محطة بغداد  
شاغرة تماماً بعد العاشرة  
( يبدو أنه في مكالمة مع امرأة بعينها )  
شاغرة

حيث ضوء بطيء فحسب  
من الصيدلية المناوبة باستمرار:  
"سيارة الأمن ظلت تمكث ساعتين متواليتين في رأس

الحي

"بداخلها ثلاثة رجال متأهبون  
:يا له من عميق. كنت أنوي إتمام مذكراته.  
"أوه . دوستويفسكي .

"شرف لي أن أكون كأبي أثاث في منزلك معبودتي  
"يقال أن رندة هربت مع شاب فلسطيني  
"ديمتري . أليس كذلك؟

"ربما لتحميه

"نعم. نعم. نعم ليس إلا

"وأجهز السماور لضيوفك وأختبئ في الحجرة

الأخرى حين يصل عشيقك

"دقيقة فقط. الصوت مشوش قليلاً

"أعتقد أنها انضمت لمنظمة سرية

"معدتك تؤلمك ما تزال

"سأريك لعبة شكلي من يديك المتصالبتين هيئة طير

"السر قوة

"الكهل في الطابق السفلي

"مائة ألف أو أكثر. باللفظاعة

"كان يمارس العادة مرتدياً ثياب زوجته الثانية  
"صداعٌ شديد . أغمي عليّ البارحة  
"ضبطه أبنائُه أمام مرآة الحمام".  
إنهما طيرٌ طيرٌ رقيقٌ نعم  
ساعتان متواليّتان:

جروشكنا،

سمر دايكوف

هو القاتل

ربما لتحميه

ربما غيره

السماور

صداع شديد

شديد

متأهبون

منظمة سرية

رأس الحي

بيت الموتى

محطة بغداد

ضوء بطيء

الصيدلية المناوبة باستمرار

الكولية الشاغرة دائماً

صوت بطيبيبيء

صريرٌ

ي

ت

د

ل

ى

سماعة متروكة  
ستأرجح في الفراغ.

يشرد و يقشر الفستق.  
ترهبه اليدُ تظهر فجأة  
من وراء الباب.

المريض نفسه  
يقرفصُ في ظل البيت  
ويقشر الفستق.

أحياناً يبكي  
من الصداع.

لكي يتفادى الشمس على عينه مباشرة  
يبدل مكانه.

تذهب العائلة إلى النوم  
والفستق يكفيه لأسبوع وأكثر.

يدُ استدعوه من وراء الباب  
يدُ فقط.

بيضاء  
وشاحبة قليلاً.

كم اليد مرعبة في الليل!



بخفة يصعد الدكتور فولان درج المبنى  
مطمئناً يستلقي جاري

تعرقُ باردٌ فقط  
فلا أحدٌ

سيأتي ليلة الجمعة  
بينما الممرضة تتلوى على سرير المرضى  
يدنو وينحني بشعره الطويل  
و بمفرداتٍ فرنسية وقحة.  
يلهث الدكتور فولان  
وجاري يلهث معه في الطابق الأعلى:

Open

Close

Play

وحتى الصباح  
لا قضيب الدكتور فولان يخذله  
و لا جاري يكفُّ عن إعادة الفيلم  
من أوله.

لسنا مهتمين بالفلك،  
ورغمه اجتمعنا في زاوية قصوى تحت شجرة الأنغيدنيا  
لنراقب.  
لسنا نؤمن بالحوت، بل بأنه ظلٌ يحجب  
ورغمه شرعنا نقرع البراميل بغبطة.  
برتقالة. كرة مبعوجة. عينٌ في صورة تشريحية.  
ثدي بحلمة بيضاء..  
وأخذنا بالتعليق حتى همست إحداهن سراً للذي بجانبها:  
العنمة رجلٌ يتمدد  
وما تبقى من قوس القمر: فرجٌ مضيء.  
كنا عاندين من العمل ، وبعضهم لم يتناول عشاءه بعد.  
ربما الخسوف يهمننا بشكل ما ، الروح مثلاً.  
بعد ساعة. مرَّ أحدهم في الفناء،  
توقف وأخذ يحدق في السماء:  
كل شيء  
يبدو  
وكان عرساً قد تمَّ للتو .  
الذي  
الذي رأى طيراً فمال إليه، فراتاً فخاض فيه، امرأة  
فحرثها  
الذي ينتبه لمكرٍ خفيٍّ يراود حدقة الخاطئ المصاب  
بالجدري  
الذي الخاطئ

الذي أولم لأربعين فارس ثم علق رؤوسهم على ظهور  
جيادهم  
لتحملها إلى كفر تخاريم  
الذي باع قرية بطربوش،  
وبمئة رجل أهاب جنود محمد علي،  
الذي يهيم ليصطاد قنبرة الحجل من فم الحجل  
الذي يروي درويشي عفدي لسبعة أيام بلياليها ،  
في النهار يحفظها،  
في الليل يدبر لدم لزج،  
الذي يتوضأ من دم لزج ويصلي  
الذي بيني شجرة العائلة ، ولا أنتى تنبت فيها  
الذي أحب لينجباك ،  
الذي أصغى فأحبك.

أيها الكوريدور  
الداكن من ذاته الأزرق من الأخيلة  
أيها الدرج  
المنحدر بقمر باردٍ أعلاه  
المائع  
الداخل في بعضه.

أيتها الشجيرات حول الساحة  
نرى من سرير عالٍ  
الهلام كأشخاص نتذكرهم بمشقة  
أيها المستلقي كقبر  
أيها السيد.

:

أيها الجسر  
ألا يؤلمك ظهرك!

القطنُ  
رحمةُ  
كنزتكِ محاكاةٌ من شمس.  
الكنزَةُ تحبُّ عظامكِ.

وسيفو يوسف بين ذراعيّ - الليلة أيضاً -  
وججا لم ينتبه بعد  
أن الحمار العاشر  
تحتنه.

مادام الجلوس كـ (بوذا) بقدمين متصلبتين لا يؤذيك  
فلا يهملك شيء  
يكفيك أنك تلاحظُ البطء  
الذي لا يلاحظُ  
لرغبةٍ أو شمس تنمو،  
لبحيرةٍ أو شجرة دلب تموتُ خلفَ ظهرك.

أَيَّامُهُ اللَّيْنَةُ كَغَرِيْزَةٍ  
أَيَّامُهُ الْعَمِيْقَةُ كَضَبَابٍ  
أَيَّامُهُ كَلْعَابٌ أَوْ مَاءٌ وَغَرَانِيْتُ .  
أَيَّامُهُ الْمَذِيْلَةُ بِذَنْبٍ لَا يَنْتَبِهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ  
أَيَّامُهُ بِفَمٍ مِنْ غِبَابٍ قَلِيْلٍ وَسِرٍّ يُطَاقُ  
أَيَّامُهُ يُوَقِّظُهَا أَنْبِيَاءُ النَّهَارِ ، الطَّيُورُ مُجَازاً  
أَيَّامُهُ فِي صَلَاةٍ مَعَ شَجَرَةٍ مَعَاقَةَ وَأَبَاجُورٍ مُعَاقٍ  
أَيَّامُهُ تَقُوْدُ نَفْسَهَا إِلَى جَحِيْمٍ نَفْسَهَا  
أَيَّامُهُ الْمَلَاثِيَاءُ  
يَكُوْمُهَا خَلْفَهُ كَبْحِيْرَةٍ  
وَيَقُوْلُ:

عزيرتي  
هذا العمر  
هذا العمر  
سريرك الذهب .

هشُّ لكنهُ يدوم  
أنا ما يتبقى من رائحتك في ثياب النوم.

أنا الخميسُ الأمسُ  
يغمى عليه.

أنا الجسرُ الصغيرُ  
أجذبك بماءٍ كئيبٍ  
يمرُّ فتمرين  
تاركةً لي: ثناءك  
للحديقة: خروجك المضيء كجرح.  
أنا

الجريمة المشتهاة في ذهن روائي أسباني  
أنا الروائي  
انتشي بأزهارك على قبري.  
حدسك.

علاقة الضباب  
باختفاء وعولٍ كانت تجري أمام العدسة.  
أنا عسافيرٌ غير مرئية  
تكفي الصباح  
لإيقاظ العاطلين عن العمل  
أنا العاطل عن العمل  
أستيقظ لأجلك

أنا المدينة تضمك  
أرى ثلاثة أرباعها من خرم إبرة  
أرمي الإبرة  
وأنتظرك.  
أنا المغفرة المتسعة  
قميصك المسبل على التنورة  
هواء خصرك  
قمح اقتراك مني  
كلام ربما ينبئ بهزيمة على فمي.  
أنا فمي  
أغلقه  
بفمك أغلقه.

الليلة حينما أصل، سأفعل ما ينبغي أن أفعله،  
أغلق مفاتيح الكهرباء لنيون الممر  
فوناسة النوم  
ثم اصطاد القمر الذي يتبعني  
المنزلق بلزوجة مُستقرّة،  
أمسكه من أنفه و ألقيه في هواءٍ  
سحيق.

الليلة حينما أصل،  
سأنظف العنمة من كل ضوء،  
أغمض عيني بشهوةٍ عارمة، وأهتف:  
الآن  
الآن أنيريني.

جرح مضمداً في الجبهة  
وجه الذئب غامضاً في ليل الفناء الخلفي  
الذئب  
نفسه  
و

.....

.....

.....

و

ثم خدر في شجرة التين  
شعر طويل  
والهالة البنفسجية حول حلمة تبرزغ.

رعبٌ سيبقى  
فقط  
كرطوبةٍ تمسُّ الجلد  
في ضباب اليوم التالي.

\* حقوق الطبع والنشر، محفوظة للشاعر.  
\* الغلاف الإلكتروني: فؤاد كمو.